

علم اجتماع و التحول الرقمي من منظور سوسيولوجي

Sociology and Digital Transformation: A Sociological Perspective

منال الاسود¹*

¹ جامعة الواد (الجزائر)، lassoued-manal@univ-eloued.dz

تاريخ الاستقبال: 2026/02/25؛ تاريخ القبول: 2026/05/31؛ تاريخ النشر: 2026/06/10

ملخص: يُعدّ التحول الرقمي في المجتمعات العربية أحد أبرز التحولات التاريخية في القرن الحادي والعشرين، إذ لم يعد مجرد انتقال تقني بل أصبح ظاهرة اجتماعية شاملة تمس بنية المجتمع والهوية والعلاقات والقيم. فالرقمنة أعادت تشكيل مفهوم الزمان والمكان والذات، وخلقت فضاءات جديدة للتعبير والمشاركة والمواطنة الرقمية. لكنها في الوقت ذاته عمّقت التفاوتات الاجتماعية والاقتصادية وأعادت إنتاج أنماط السلطة والمراقبة، مما جعل العالم العربي يعيش حالة من "الورطة الرقمية المزدوجة"، حيث تتعايش وعود التغيير مع قوى الجمود. كما أبرز التحليل أن التحول الرقمي في المنطقة العربية يتسم بتباينات حادة بين الدول والمناطق والفئات الاجتماعية، وأن تجاوزه يتطلب رؤية سوسيولوجية نقدية تضع الإنسان في قلب العملية الرقمية، وتربط التكنولوجيا بالتنمية والعدالة الاجتماعية.

الكلمات المفتاح: التحول الرقمي .علم اجتماع الرقمي

Abstract: Digital transformation in Arab societies is one of the most significant historical shifts of the twenty-first century, as it has transcended being a mere technical transition to become a comprehensive social phenomenon affecting societal structure, identity, relationships, and values. Digitization has reshaped concepts of time, space, and the self, creating new spaces for expression, participation, and digital citizenship. Simultaneously, however, it has deepened social and economic disparities and reproduced patterns of power and surveillance, plunging the Arab world into a state of a "double digital predicament" where promises of change coexist with forces of inertia. The analysis also highlighted that digital transformation in the Arab region is characterized by sharp disparities between countries, regions, and social groups, and overcoming this requires a critical sociological vision that places the human being at the heart of the digital process, linking technology with development and social justice.

Keywords: Digital Transformation ; Digital Sociology

I- تمهيد :

يشهد العالم المعاصر ثورة رقمية غير مسبوقه تمس جميع جوانب الحياة الإنسانية، وتعيد تشكيل البنى الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية على حد سواء. لم تعد الرقمنة مجرد تطور تقني في أدوات الاتصال أو أنظمة الإنتاج، بل أصبحت بنية جديدة للحياة، وفضاءً شاملاً يعيد صياغة العلاقة بين الإنسان والعالم من حوله. وفي خضم هذه التحولات الكبرى، تقف المجتمعات العربية أمام تحدٍ مزدوج يتمثل في ضرورة الاندماج في هذا العالم الرقمي المتسارع، وفي الوقت نفسه المحافظة على خصوصيتها الثقافية والاجتماعية وهويتها الحضارية.

لقد أحدث التحول الرقمي تغييراً عميقاً في طبيعة العلاقات الاجتماعية وفي مفهوم الزمان والمكان والهوية، حيث باتت التفاعلات الاجتماعية تُدار عبر فضاءات افتراضية تتجاوز الحدود الجغرافية والأنماط التقليدية للتواصل. كما أفرزت الرقمنة أشكالاً جديدة من المشاركة المدنية، وأساليب مبتكرة في التعبير عن الرأي، وممارسات ثقافية قائمة على السرعة والتفاعل اللحظي. غير أن هذه التحولات الإيجابية صاحبها مظاهر من الاغتراب الرقمي، وتنامي الفجوة بين الفاعلين الرقميين وغير الرقميين، إضافة إلى تحديات تتعلق بالخصوصية، والمراقبة، وإعادة إنتاج التفاوتات الاجتماعية والاقتصادية في البيئة الافتراضية.

إن دراسة التحول الرقمي من منظور سوسيولوجي تتيح فهماً أعمق للديناميات الاجتماعية والثقافية التي تصاحب هذه الظاهرة، بعيداً عن النظرة التقنية البحتة التي تحتل الرقمنة في بعدها التكنولوجي. فالسؤال الجوهرى لا يتعلق فقط بكيفية استخدام التكنولوجيا، بل بكيف تؤثر هذه التكنولوجيا في تشكيل أنماط التفكير والسلوك والقيم، وفي إعادة توزيع القوة والمعرفة داخل المجتمع. ومن ثم، فإن التحول الرقمي يشكل في جوهره مساراً لإعادة بناء المجتمع العربي، سواء من حيث علاقته بالمعرفة والإنتاج، أو من حيث هويته الثقافية ومكانته في النظام العالمى الجديد.

تهدف هذه الورقة إلى تحليل التحول الرقمي في المجتمعات العربية باعتباره ظاهرة اجتماعية شاملة تتجاوز الأبعاد التقنية إلى الأبعاد البنيوية والثقافية. كما تسعى إلى الكشف عن التناقضات التي ترافق هذا التحول بين الاندماج في الثورة الرقمية من جهة، والحفاظ على الخصوصية والاستقلالية من جهة أخرى، مع التركيز على ضرورة بناء رؤية عربية نقدية قادرة على توجيه الرقمنة لخدمة الإنسان والتنمية والعدالة الاجتماعية.

المحور الأول: التأسيس النظري والمفاهيمي للتحول الرقمي في السياق العربي**أولاً: إشكالية المفهوم: التحول الرقمي كعملية اجتماعية وثقافية**

التحول الرقمي (Digital Transformation) في جوهره ليس مجرد عملية استبدال للأدوات التناظرية بأخرى رقمية. بل هو عملية اجتماعية شاملة (Socio-technical Process) تتفاعل فيها التكنولوجيا بشكل وثيق مع السياقات الثقافية والتنظيمية وعلاقات القوة السائدة. (Zayani & Khalil, 2024, p. 25) إنه يعيد تعريف مفاهيم أساسية مثل:

• **الزمان والمكان:** إذ يتقلص الزمن وتنكمش المسافات بفعل الاتصال الفوري، مما يخلق إحساساً جديداً بالحضور

والغياب في آن واحد. (Gasmi et al., 2024, p. 1198)

• **الذات والهوية:** حيث يفسح المجال لتشكيل هويات متعددة ومتداخلة في الفضاءات الافتراضية.

(Bastian & Wood, 2025, p. 52)

• **الجماعة والمجتمع:** مع تحول مفهوم الجماعة من الحيز الجغرافي المحدود إلى "مجتمعات افتراضية (Virtual Communities) قائمة على الاهتمامات والقيم المشتركة. (Zayani & Khalil, 2024, p. 78)

في السياق العربي، تكتسي هذه العملية خصوصية بالغة. فالتحول الرقمي لا يحدث في فراغ تاريخي أو ثقافي. بل يصطدم ببنى مجتمعية تقليدية (كالأسرة والعشيرة)، وبأنماط سلطوية في الحكم، وبعلاقات اقتصادية ريعية (الخوري، 2025، ص 8). لذلك، فإن فهم تأثير الرقمنة يتطلب تحليلاً دقيقاً لكيفية تفاعلها مع هذه البنى، سواء بالتوافق أو بالتصادم أو بإعادة الإنتاج (Dede, 2024, p. 369). يؤكد باحثون على أهمية تقييم التغيير من خلال النظر في الظروف الفريدة للجنوب العالمي، وتجنب الوصفات الاستشرقية أو عدسة الغرب.

(Zayani & Khalil, 2024, p. 32)

ثانياً: مفهوم "الورطة الرقمية المزدوجة" كأداة تحليلية

يُعد مفهوم "الورطة الرقمية المزدوجة (Digital Double Bind)" الذي طرحه زياني و خليل (2024) أداة تحليلية بالغة الأهمية لفهم ديناميكيات التحول الرقمي في الشرق الأوسط.² (Zayani & Khalil, 2024, p. 15) المفهوم مستعار من علم النفس الاجتماعي، حيث يشير "الربط المزدوج (Double Bind)" إلى موقف يتلقى فيه الشخص رسائل متناقضة تخلق وضعاً مستحيلاً بالنسبة له. (Zayani & Khalil, 2024, p. 17)

ينتقل الباحثان بهذا المفهوم إلى التحليل الاجتماعي، ليجدا أن منطقة الشرق الأوسط تقع في شرك هذا التناقض على مستويين : (Zayani & Khalil, 2024, p. 19)

1. **الدفع نحو التغيير:** تدفع عوامل اقتصادية (مثل الرغبة في بناء اقتصاد المعرفة)، وعوامل اجتماعية (مثل طموحات الشباب)، وعوامل سياسية (مثل تحسين الخدمات الحكومية)، باتجاه تبني الرقمنة والانغماس فيها. وهذا يخلق توقعات كبيرة بالتححر والتنمية والتحديث. (Zayani & Khalil, 2024, p. 20)

2. **مقاومة التغيير واستدامة الجمود:** في اللحظة نفسها، تعمل قوى أخرى على توظيف الرقمنة لتعزيز أنماط السيطرة التقليدية، والمراقبة، وإعادة إنتاج التفاوتات القائمة. فالدول تبني الرقمنة بينما نسيج الإنترنت وتفرض رقابة على مواطنيها. وتسعى لتطوير اقتصاديات المعرفة بينما تتمسك بأنظمة اقتصادية قائمة على المحسوبية والامتياز (Zayani & Khalil, 2024, p. 22).

هذه الورطة ليست مجرد تناقض عابر، بل هي السمة البارزة للتحول الرقمي في المنطقة. إنها حالة من "اللزوجة الاجتماعية" حيث يبدو أن التغيير يحدث بوتيرة سريعة في المظهر، بينما تبقى البنى العميقة (علاقات السلطة، العقلية، الأعراف الاجتماعية) على حالها أو تزداد صلابة. (Zayani & Khalil, 2024, p. 24)

ثالثاً: من التحديث إلى الرقمنة: مسار تاريخي متعرج

لفهم الحاضر، لا بد من استشراف الماضي. يوضح زباني و خليل أن علاقة المنطقة بالتكنولوجيا كانت دائماً متشابكة مع مساعيها للتحديث والتعامل مع الحداثة (Zayani & Khalil, 2024, p. 45)

منذ الحقبة الاستعمارية وحتى اليوم، تناوبت المنطقة بين احتضان التكنولوجيا ومقاومتها. ويتجلى هذا الغموض في أمثلة تاريخية واضحة، مثل مقاومة المملكة العربية السعودية لإدخال التلفزيون في الستينيات، ومخاوفها من تبني الإنترنت في التسعينيات. لكن هذه المقاومة قوبلت لاحقاً بدفع قوي للريادة في صناعة التلفزيون وتعزيز قطاع إعلامي رقمي مزدهر. (Zayani & Khalil, 2024, p. 47)

هذا المسار المتعرج يعكس حقيقة أساسية: التبني التكنولوجي في المنطقة العربية ليس خطياً ولا منتظماً. إنه عملية معقدة متعددة الطبقات ومحفوفة بالصراعات والتناقضات، مما يجعل الاعتماد على معايير معيارية ونماذج غربية غير ممكن (Dede, 2024, p. 369) فالتحدي لا يكمن في استيراد التكنولوجيا، بل في توطئتها وإنتاجها بما يتناسب مع الخصوصيات المحلية. (الخوري، 2025، ص 12)

المحور الثاني: مظاهر التحول الرقمي وتأثيراتها الاجتماعية في السياق العربي

أولاً: إعادة تشكيل العلاقات الاجتماعية والمجال العام

أ. من العلاقات الأسرية إلى الشبكات الافتراضية

أحدثت الرقمنة تغييرات عميقة في بنية العلاقات الاجتماعية وأنماط التفاعل اليومي. لم تعد الجماعة محصورة في الجيران أو العائلة الممتدة، بل امتدت لتشمل شبكات افتراضية عابرة للحدود (Bastian & Wood, 2025, p. 58) هذا التحول يحمل آثاراً متناقضة:

- **التمدد والانفتاح:** يتيح للفرد، خاصة الشباب، تكوين علاقات قائمة على الاهتمامات المشتركة والقيم المتقاربة، متجاوزاً القيود الجغرافية والاجتماعية التقليدية. تُظهر منصات التواصل كيف يمكن للشباب العربي الانخراط في مجتمعات معرفية أو ثقافية أو حتى سياسية عالمية، مما يساهم في تشكيل "مواطنات عابرة للمحليات (Trans-local Subjectivities)" "تُعترف بالروابط العاطفية التي تربط الناس بأوطانهم الأم، وفي الوقت نفسه حاجتهم إلى الاعتراف السياسي والاندماج

(Zayani & Khalil, 2024, p. 89)

- **التوتر والتفكك:** في الوقت نفسه، قد تضعف هذه الشبكات الافتراضية من كثافة العلاقات الأسرية والجوارية التقليدية. هناك قلق متزايد من أن الانغماس في العالم الافتراضي قد يؤدي إلى العزلة الاجتماعية وإعادة إنتاج أنماط تواصل سطحية. (Gasmi et al., 2024, p. 1205) كما أن الفضاء الرقمي قد يعيد إنتاج التسلسلات الهرمية الاجتماعية داخل الأسرة نفسها، حيث يسعى كبار السن للحفاظ على السيطرة والمعايير التقليدية في مواجهة ممارسات الشباب الرقمية الجديدة

(Bastian & Wood, 2025, p. 62) .

ب. الفضاء الرقمي كمجال عام جديد (New Public Sphere)

شكل ظهور وسائل التواصل الاجتماعي نقلة نوعية في مفهوم "المجال العام" في العالم العربي. فقد وفرت هذه الوسائل فضاءات جديدة

للمناقش العام وتشكيل الرأي العام، بعيداً عن سيطرة المؤسسات الإعلامية التقليدية والدينية والحكومية (Zayani & Khalil, 2024, p. 102)

• **التعبئة والحراك الاجتماعي:** تجلت قوة هذا المجال العام الرقمي بوضوح في الحركات الاحتجاجية التي شهدتها المنطقة منذ عام 2011. فقد تم توظيف الأدوات الرقمية للتواصل وتنسيق الأنشطة الاجتماعية والسياسية، مما أعطى فصائل كانت مهمشة سابقاً فرصة للتعبير عن مطالبها واستعادة

صوتها (Gasmi et al., 2024, p. 1210) يُظهر مفهوم "المواطنة العاطفية (Emotional Citizenship) كيف أن استخدام متظاهرين لأجهزتهم المحمولة لتوثيق ونقل "تعبيرات عن المواطنة" يضيف على المفهوم بعداً شخصياً عميقاً، حيث توحدتهم الرغبة المشتركة في التضامن بدلاً من توحيدهم التكنولوجي نفسها.

(Zayani & Khalil, 2024, p. 105)

• **الرقابة والتسييس:** ولكن هذا المجال العام الجديد ليس فضاءً للحرية المطلقة. فقد استخدمت الحكومات أيضاً قدراتها الرقمية لممارسة المراقبة ونشر المعلومات المضللة . (Dede, 2024, p. 369) فالفضاء الرقمي هو ساحة للسياسة اليومية، حيث يمارس الأفراد فاعليتهم (Agency) ، لكن ضمن حدود ترسمها أنظمة رقابية متطورة. في دول الخليج، على سبيل المثال، تم تطبيق تكنولوجيا مراقبة متطورة لتعزيز الأمن، بينما أدى صعود المنصات الرقمية العالمية إلى تقليص السيادة الوطنية (Zayani & Khalil, 2024, p. 110)

ثانياً: الهوية والثقافة: بين العولمة والخصوصية

يمثل صراع الهويات بين المحلي والعالمي أحد أبرز التجليات الثقافية للتحول الرقمي. يواجه الشباب العربي تدفقاً هائلاً من المحتوى العالمي (الأفكار، القيم، أنماط الحياة) عبر المنصات الرقمية. هذا التفاعل يخلق أنماطاً هجينة جديدة من الهوية، تتسم بالمرونة والتعددية (Bastian & Wood, 2025, p. 67).

• **إنتاج المحتوى المحلي:** في مواجهة التدفق العالمي، يشهد العالم العربي طفرة في إنتاج المحتوى الرقمي باللغة العربية، سواء كان ترفيهياً (مسلسلات، برامج) أو معرفياً (قنوات تعليمية، مدونات). هذا الإنتاج المحلي يساهم في تشكيل وعي جمعي جديد، ويعيد صياغة الخطاب الثقافي والديني بما يتناسب مع سياقات العصر

(الخوري، 2025، ص 18) .

• **تحدي الأعراف الاجتماعية:** يطرح ظهور ممارسات إعلامية وأساليب تواصل جديدة تحديات لبعض الأعراف الاجتماعية والثقافية الراسخة . (Gasmi et al., 2024, p. 1215) ففي مجتمعات يسيطر فيها كبار السن على عمليات صنع القرار، تتيح الرقمنة للشباب والنساء والفئات المهمشة فرصاً للتعبير عن أنفسهم وتشكيل خطابهم الخاص، مما يخلق توتراً بين الأجيال والطبقات الاجتماعية حول من له الحق في التحدث وتمثيل المجتمع. (Bastian & Wood, 2025, p. 70)

ثالثاً: الاقتصاد الرقمي وسوق العمل: وعود التحرر ومخاطر الإقصاء

يشكل التحول نحو اقتصاد المعرفة والاقتصاد الرقمي أولوية استراتيجية للعديد من الدول العربية. نجاحات لافتة مثل تطبيق "كريم (Careem)" ومشاريع طموحة مثل "نيوم" ومبادرات واسعة مثل "مليون مبرمج عربي" تشهد على الجهود المبذولة للاستفادة من الرقمنة (الخوري، 2025، ص 22). لكن هذا التحول يحمل في طياته تناقضات هيكلية عميقة.

أ. "التدمير الخلاق" وإعادة هيكلة سوق العمل

يُعد الذكاء الاصطناعي والرقمنة جزءاً من تحول تكنولوجي أوسع، شبيه بالثورات الصناعية السابقة، ومن المرجح أن يعيد تشكيل أسواق العمل والمجتمعات بشكل جوهري (Makdissi, 2025, p. 2). تصف نماذج النمو الاقتصادي (مثل نموذج شومبيتر) هذه العملية بأنها "تدمير خلاق (Creative Destruction)"، حيث تظهر تكنولوجيات جديدة تجعل بعض عمليات الإنتاج والمهارات العمالية قديمة، ثم يعاد توزيع الموارد لزيادة القدرة الإنتاجية الكلية للاقتصاد. (Makdissi, 2025, p. 3) لكن خلف هذا السرد الاقتصادي الكلي المعقم، تختبئ تجربة "التدمير" على المستوى الفردي. (Makdissi, 2025, p. 4) عندما تختفي مهن بأكملها، وعندما تفقد مهارات كانت ذات قيمة في السوق أهميتها، يعاني الناس من اختيار مساراتهم المهنية وفقدان سبل عيشهم. هذه صدمات حقيقية للتنمية البشرية. الوظائف الأكثر عرضة للأتمتة هي تلك التي تعتمد على المهام المعرفية الروتينية (Routine Cognitive Tasks)، والتي غالباً ما تكون من نصيب العمال ذوي المستويات التعليمية المتوسطة

(Makdissi, 2025, p. 5) وهذا يهدد ملايين الشباب العربي الذين يعانون أساساً من البطالة ويبحثون عن عمل ذي

معنى.

ب. تعميق التفاوت الاقتصادي وتركيز الثروة

يثير استبدال العمل البشري بالآلات والخوارزميات مخاوف إضافية بشأن عدم المساواة في الدخل. في اقتصاد السوق، يعتمد نصيب الفرد من الدخل القومي بشكل أساسي على عوامل الإنتاج التي يمتلكها، بما في ذلك عمله. كثير من الناس لا يمتلكون سوى عملهم كعامل إنتاج. (Makdissi, 2025, p. 6) عندما تقلل تقنيات الذكاء الاصطناعي والرقمنة من الطلب على العمالة، تتركز فوائد النمو بشكل متزايد في أيدي أولئك الذين يمتلكون الآلات والرموز والبيانات (أي مالكي رأس المال التكنولوجي). في هذا السياق، قد يفقد ملايين العمال مصدر دخلهم بينما تجني مجموعة صغيرة ثمار هذا التغيير التكنولوجي، مما يؤدي إلى زيادة كبيرة في التفاوت الاقتصادي (Makdissi, 2025, p. 7) هذا لا يمثل تحدياً اقتصادياً فحسب، بل تحدياً سياسياً أيضاً، إذ يمكن أن يؤدي تركيز الثروة إلى تركيز النفوذ السياسي واحتمال حدوث اضطرابات اجتماعية.

ج. اقتصاد رقمي هش وغير متوازن

يصف العديد من المراقبين الشرق الأوسط بأنه "وادي السيليكون القادم"، لكن الاقتصاد الرقمي في المنطقة لا يزال في مراحله المبكرة، ويتمسك بالتعقيد وعدم اليقين (الخوري، 2025، ص 25). تطور الاقتصاد الرقمي في المنطقة مشوب بتناقضات جوهريّة. فبينما تشهد دول الخليج طفرة في الاستثمارات، تعاني دول أخرى (كاليمن والسودان وسوريا) من غياب شبه كامل للبنية التحتية للاتصالات وتكنولوجيا المعلومات (الخوري، 2025، ص 27). وحتى في الدول الأكثر تقدماً، يتركز الابتكار الرقمي في قطاعات الخدمات (التجارة الإلكترونية والخدمات المالية) ويفتقر إلى الأبعاد الإستراتيجية التي يمكن أن تجعل المنطقة لاعباً رقمياً حقيقياً على المسرح العالمي.

(Bastian & Wood, 2025, p. 75)

المحور الثالث: الفجوة الرقمية وإعادة إنتاج التفاوتات الاجتماعية في المجتمعات العربية

لا يمكن الحديث عن التحول الرقمي في العالم العربي دون تحليل دقيق للفجوات الرقمية المتعددة الأبعاد التي تميز المنطقة. هذه الفجوات ليست مجرد تأخر في التبني، بل هي انعكاس لتفاوتات اجتماعية واقتصادية وسياسية أعمق، تعيد الرقمنة إنتاجها وتضفي عليها أبعاداً جديدة. (Zayani & Khalil, 2024, p. 135).

أولاً: الطبيعة المتعددة الأبعاد للفجوة الرقمية

الفجوة الرقمية في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا متعددة الأبعاد؛ فهي لا تتعلق فقط بالوصول إلى البنية التحتية، بل تمتد لتشمل المعرفة الرقمية، والنوع الاجتماعي، والجغرافيا، والحكومة (Gasmi et al., 2024, p. 1220). ومع تحول الخدمات الحكومية والخاصة إلى منصات إلكترونية، فإن أولئك الذين يفتقرون إلى الاتصال أو المهارات الرقمية يخاطرون بأن يتم استبعادهم من حقوق أساسية، بدءاً من التسجيل في الضمان الاجتماعي إلى التقدم لوظائف (كاتب عمود في ERF، 2025، ص 2).

أ. الفجوة بين المركز والهامش (الحضر والريف)

رغم التقدم الملحوظ في رقمنة الاقتصاديات العربية، لا تزال الفجوة الرقمية بين المدن الكبرى والمناطق الريفية تشكل عائقاً أمام الاندماج الشامل في الاقتصاد الرقمي (الخوري، 2025، ص 30). تعاني المناطق النائية والمعزولة جغرافياً (مثل مناطق في المغرب أو جزر نيلية في مصر) من تحديات كبرى في تبني الرقمنة، مما يعمق الفجوة التنموية. البنية التحتية للإنترنت غالباً ما تكون أضعف، وتكلفة الوصول أعلى نسبياً، والمحتوى الرقمي الملائم أقل توفراً. هذا يخلق "مفارقة رقمية" حيث تتخلف الفاعليات المحلية والمجتمعات الريفية عن ركب التنمية الرقمية الذي يقوده القطاع العام والخاص في المراكز الحضرية. (Zayani & Khalil, 2024, p. 140)

ب. الفجوة بين دول المنطقة

تشهد المنطقة العربية تباينات صارخة في مستوى التطور الرقمي. فبينما تحتل دول الخليج (الإمارات وقطر والسعودية) مراتب متقدمة في مؤشرات الأداء والاستعداد الرقمي العالميين، وتبرز كقوى رقمية صاعدة (الخوري، 2025، ص 32) نجد أن دولاً أخرى كانت مبكرة في تبني الإنترنت (مثل تونس) تتخلف عن الركب في مجال التحول الرقمي (Bastian & Wood, 2025, p. 80) وفي الوقت نفسه، دول معروفة بكونها غنية بالموهب في تكنولوجيا المعلومات (مثل الأردن) لم تتطور لتصبح مراكز رقمية أو مراكز لتكنولوجيا المعلومات على المستوى الإقليمي. (Bastian & Wood, 2025, p. 82) هذه التباينات تجعل من الصعب وضع تصنيف موحد للتحول الرقمي في المنطقة استناداً إلى متغيرات بنوية أو اقتصادية أو سياسية فقط، فهناك عوامل تاريخية وثقافية ومجتمعية تؤثر بشكل كبير في المشهد الرقمي لكل بلد. (Dede, 2024, p. 370)

ج. الفجوة بين الجنسين والفئات الاجتماعية

تواجه النساء في العالم العربي عوائق إضافية في الوصول إلى التكنولوجيا الرقمية واستخدامها بفعالية. هذه العوائق ليست تقنية فقط، بل اجتماعية وثقافية، تتعلق بالأدوار التقليدية للجنسين، ومحدودية الحركة، والتحيز في المحتوى

(Gasmi et al., 2024, p. 1225) يلاحظ أن عمليات صنع القرار في المجتمعات العربية يسيطر عليها كبار السن من الرجال، مما يؤدي إلى تمثيل غير كافٍ للآخرين (Zayani & Khalil, 2024, p. 145) كما أن الفروق في الدخل والتعليم والسن تخلق تفاوتات في المهارات الرقمية والقدرة على الاستفادة من فرص التحول الرقمي

(Bastian & Wood, 2025, p. 85).

ثانياً: التحول الرقمي وإعادة تشكيل العقد الاجتماعي

تقدم دراسة لغسمي وآخرين (2024) تحليلاً تجريبياً مهماً للعقد الاجتماعي في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا ودور الرقمنة في تحوله . (Gasmi et al., 2024, p. 1195) باستخدام إطار "الثلاثة باءات" (المشاركة، الحماية، التوفير) (Participation, Protection, Provision) يركز الباحثون على دور التوفير (الخدمات الأساسية) والحماية في تحديد مشاركة المواطنين.

النتائج الرئيسية لهذه الدراسة تكشف عن مفارقة حاسمة:

1. **مقايضة الخدمات بالمشاركة:** يوجد دليل تجريبي قوي على أنه في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، فإن الفوائد المقدمة للمواطنين من خلال تحسين تقديم الخدمات الأساسية (مثل الصحة والتعليم والبنية التحتية) قد جاءت على حساب إضعاف المشاركة السياسية والمدنية (Gasmi et al., 2024, p. 1230). بمعنى آخر، اشتهرت الأنظمة ولاء المواطنين أو على الأقل سكوتهم من خلال توفير الخدمات، في مقابل تقليص مساحات المشاركة والحريات.
2. **تأثير غير خطي للرقمنة:** وجدت الدراسة أيضاً أن التحول الرقمي، الذي يُنظر إليه كفناة محتملة لتحسين العقد الاجتماعي، له تأثير غير خطي (على شكل حرف U مقلوب). هذا يعني أن الرقمنة قد تؤدي في البداية إلى تحسين المشاركة، ولكن بعد نقطة معينة، يبدأ تأثيرها في التراجع ما لم تواكبها تغييرات مؤسسية عميقة (Gasmi et al., 2024, p. 1235). فالرقمنة وحدها لا تكفي لتحقيق إصلاح سياسي واجتماعي حقيقي؛ بل لا بد من تغييرات في القوانين والهياكل التنظيمية وعلاقات السلطة. بعبارة أخرى، هناك حاجة إلى تغييرات مؤسسية في بلدان المنطقة قبل أن يصبح عقدها الاجتماعي مماثلاً لتلك الموجودة في دول منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية. (Gasmi et al., 2024, p. 1238)

ثالثاً: حوكمة الفضاء الرقمي: بين السيادة الوطنية والهيمنة العالمية

تثير هيمنة المنصات الرقمية العالمية (مثل فيسبوك وتويتر وغوغل) قضايا معقدة تتعلق بالسيادة الوطنية والعدالة الاجتماعية.

- **قمع الأصوات:** لقد أظهرت الحرب الأخيرة في غزة بوضوح كيف يمكن لعمالقة التكنولوجيا قمع بعض الروايات بشكل فعال، إما عن طريق إزالة المستخدمين أو جعل محتوهم غير مرئي عملياً (كاتب عمود في ERF، 2025، ص 4). في هذا السياق، تشكل التحيزات الثقافية لأصحاب رأس المال الرقمي ما يراه الناس ويعتقدونه ويناقشونه، مع ما يترتب على ذلك من آثار كبيرة على الخطاب العام والمشاركة الديمقراطية . (Zayani & Khalil, 2024, p. 155) المشكلة حادة بشكل خاص في المنطقة العربية، حيث يعيش العديد من المواطنين بالفعل في بيئات إعلامية شديدة التحكم، و"الاختلاف مع" النظرة العالمية لوائي السيليكون يضيف ضعفاً هيكلياً إضافياً. (Dede, 2024, p. 370)
- **المراقبة والتحكم:** شهدت دول الخليج تطبيق تكنولوجيا مراقبة متطورة لتعزيز

الأمن (Zayani & Khalil, 2024, p. 160) اقتصاديات المراقبة شهدت تحولاً جذرياً؛ فمع كمية المعلومات التي يشاركها الناس طوعية على الشبكات الاجتماعية وقوة الذكاء الاصطناعي في معالجة البيانات وربطها، أصبح من الممكن ورخيصاً لأصحاب العمل أو الحكومات أو الجهات الخاصة مراقبة مجموعات كبيرة من

السكان (Makdissi, 2025, p. 8) نحن ندخل عصرًا تصبح فيه المراقبة محيطية وآلية، مما يغير ميزان القوى بين الأفراد والمؤسسات بطرق بدأنا للتو في فهمها . (Makdissi, 2025, p. 9) هذا التآكل في الصوت والفاعلية يمثل مشكلة كبيرة في التنمية البشرية؛ فالقدرة على التحدث والمعارضة ورواية القصة هي حريات أساسية.

المحور الرابع: تحديات المنهجية في علم الاجتماع الرقمي العربي

أولاً: تطور أدوات البحث السوسيولوجي في العصر الرقمي

أحدثت الرقمنة ثورة في منهجية البحث العلمي في علم الاجتماع. أصبح الباحث اليوم قادراً على استخدام تقنيات جديدة لرصد وتحليل الظواهر الاجتماعية بطرق غير مسبقة: (Zayani & Khalil, 2024, p. 175)

- **تحليل البيانات الضخمة (Big Data)** يمكن للباحثين استخدام البيانات الضخمة المستخلصة من منصات التواصل الاجتماعي لرصد الاتجاهات الاجتماعية الكبرى، وتحليل المشاعر العامة تجاه قضايا معينة، وتحديد أنماط التفاعل والشبكات الاجتماعية على نطاق واسع. (Gasmi et al., 2024, p. 1200)
- **الإثنوغرافيا الرقمية (Digital Ethnography)** تتيح أدوات البحث الرقمية للباحث التعمق في فهم الثقافات والمجتمعات الافتراضية، من خلال الملاحظة بالمشاركة في المنتديات والمجموعات الرقمية، وإجراء مقابلات متعمقة عبر الإنترنت. هذا يفتح آفاقاً جديدة لدراسة المجتمعات والممارسات التي يصعب الوصول إليها بالطرق التقليدية (Bastian & Wood, 2025, p. 90).

ثانياً: إشكاليات أخلاقية ومنهجية جديدة

ولكن هذا التطور المنهجي يصاحبه تحديات أخلاقية ومنهجية معقدة:

- **الخصوصية في الفضاء الرقمي**: كيف يمكن للباحث الحفاظ على خصوصية الأفراد في عالم رقمي تترك فيه كل خطوة أثراً؟ ما هو الفرق بين المحتوى العام والخاص على وسائل التواصل الاجتماعي؟ كيف يمكن الحصول على موافقة مستنيرة في بيئة سائلة ومتغيرة؟. (Zayani & Khalil, 2024, p. 180)
- **التحقق من الهوية وصدقية البيانات**: في العالم الافتراضي، يصعب التحقق من هوية الأفراد وصدقية البيانات التي يقدمونها. كيف يمكن للباحث التأكد من أن من يدرسه هم أشخاص حقيقيون وليسوا روبوتات أو حسابات وهمية؟ وكيف يتعامل مع ظاهرة "الانحياز التأكيدي" حيث يميل الأفراد لعرض ذواتهم المثالية وليس الحقيقية؟. (Bastian & Wood, 2025, p. 95).
- **التحيز الخوارزمي والأخلاقي**: عندما يستخدم الباحث أدوات رقمية تعتمد على خوارزميات (مثل برامج تحليل المشاعر)، فإن هذه الخوارزميات قد تكون مشبعة بتحيزات ثقافية أو اجتماعية معينة. كيف يمكن للباحث أن يكون ناقداً لأدواته ويتجنب إعادة إنتاج هذه التحيزات في نتائجه؟. (Dede, 2024, p. 370)

ثالثاً: الحاجة إلى مقاربة عربية نقدية

في مواجهة هذه التحديات، تبرز الحاجة إلى تطوير مقاربة سوسيولوجية عربية نقدية للرقمنة. مقارنة لا تكتفي باستيراد النماذج النظرية الغربية وتطبيقها على السياق العربي، بل تنطلق من خصوصية هذا السياق لتطوير أدواتها ومفاهيمها. مقارنة تعترف بأن الشمال العالمي ليس سوى نموذج تشغيلي واحد من بين عدة نماذج أخرى . (Zayani & Khalil, 2024, p. 190) من خلال الفحوصات الشاملة للتكنولوجيا والتحول في الشرق الأوسط والجنوب العالمي، يمكن لعلم الاجتماع العربي أن يكشف النقاب عن وجوه مختلفة/بديلة للمفارقة الرقمية. (Dede, 2024, p. 370)

خلاصة

يمثل التحول الرقمي في المجتمعات العربية لحظة تاريخية فارقة في مسار تطورها الاجتماعي والثقافي والسياسي، إذ تجاوز كونه مجرد مشروع تقني إلى كونه تحولاً بنيوياً يعيد تشكيل أسس الحياة الاجتماعية ذاتها. فالرقمنة لم تعد مجرد أدوات جديدة للتواصل أو العمل أو التعلم، بل أصبحت بيئة شاملة يعيش فيها الإنسان ويتفاعل ضمنها، بحيث تُعاد صياغة مفاهيم مثل المواطنة، والهوية، والسلطة، والمجتمع المدني، في ضوء هذا الفضاء الرقمي المتشابك.

لقد كشفت التجربة العربية أن الرقمنة تحمل في طياتها طابعاً مزدوجاً: فهي من جهة أداة للتحرر والتمكين والانفتاح، ومن جهة أخرى قد تتحول إلى وسيلة لإعادة إنتاج التفاوتات والسيطرة. فهي تمنح الشباب والنساء والفئات المهمشة فرصة التعبير والمشاركة في المجال العام، لكنها في الوقت ذاته تُخضعهم لشبكات جديدة من المراقبة، وتضعهم داخل منظومات رقمية لا يملكون السيطرة الكاملة عليها. وهكذا تتجلى المفارقة الكبرى: نفس القوى التي تدفع نحو التغيير هي التي تعيق تحقيقه الكامل، مما يجعل الرقمنة في العالم العربي ساحةً لصراع رمزي ومادي بين الحلم بالتحول والخوف من فقدان الهوية والاستقلال.

من منظور سوسيولوجي، يمكن القول إن الرقمنة لم تغير فقط الأدوات التي يستخدمها الإنسان العربي، بل غيرت طريقة نظره إلى ذاته وعلاقته بالآخرين وبالمجتمع. فقد أصبح الفرد العربي يعيش بين عالمين متداخلين: العالم الواقعي الذي ما يزال محكوماً بالبنى التقليدية من أسرة ودين وسلطة، والعالم الافتراضي الذي يمنحه مساحات جديدة للحرية والتعبير. وبين هذين العالمين، تنشأ توترات جديدة حول الانتماء والمعنى والثقة، وتظهر أشكال جديدة من "الاغتراب الرقمي" الذي يجعل الإنسان حاضراً في كل مكان، لكنه يشعر في الوقت ذاته بالعزلة وفقدان التواصل الحقيقي.

كما أظهر التحليل أن التحول الرقمي يعيد تشكيل المجال العام العربي، فيخلق فضاءات جديدة للنقاش والمساءلة والتعبئة، لكنه في الوقت نفسه يخضع لمنظومات رقمية متطورة، تتقاطع فيها مصالح الدولة والشركات العالمية الكبرى. وهذا يجعل من قضايا السيادة الرقمية والخصوصية والتمثيل الثقافي تحديات مركزية في مستقبل الرقمنة العربية. فالتحكم في البيانات والمحتوى أصبح شكلاً جديداً من السلطة، والتحرر منه يتطلب وعياً جماعياً وثقافة رقمية نقدية، قادرة على مواجهة التبعية التكنولوجية والتأثيرات العابرة للحدود.

إن الطريق نحو مستقبل رقمي عادل ومستدام في العالم العربي يمر عبر إعادة تعريف العلاقة بين التكنولوجيا والإنسان. فلا يمكن الحديث عن رقمنة ناجحة من دون تمكين الإنسان من أدوات الفهم والنقد والمساءلة. فالتكنولوجيا في جوهرها ليست سوى انعكاس للخيارات الاجتماعية والسياسية التي تحكم استخدامها. وإذا لم تُدار الرقمنة برؤية أخلاقية وإنسانية، فإنها قد تتحول إلى وسيلة جديدة لتكريس الهيمنة بدلاً من أن تكون أداة للتحرر.

من هنا تبرز الحاجة إلى بناء مشروع عربي للإنسانيات الرقمية، يستند إلى الخصوصية الثقافية للمجتمعات العربية، ويعيد توطين المعرفة الرقمية في بيئتها المحلية. مشروع يجعل من الرقمنة أداة لإثراء الثقافة لا لطمسها، ولتعزيز العدالة لا لتوسيع الفجوة بين الطبقات، ولتمكين الأفراد لا لمراقبتهم. وهذا يتطلب سياسات تعليمية ومؤسسية تعيد الاعتبار لقيم التفكير النقدي، والحرية الأكاديمية، والمواطنة الرقمية المسؤولة، إلى جانب تطوير بنية تحتية رقمية مستقلة قادرة على المنافسة والإبداع.

وفي النهاية، يمكن القول إن مستقبل الرقمنة في المجتمعات العربية لن يُحدد بما تملكه من تكنولوجيا فحسب، بل بما تمتلكه من إرادة إنسانية ورؤية حضارية توجه هذا التحول نحو بناء مجتمع أكثر عدلاً، وانفتاحاً، وكرامة. فالتاريخ لا تصنعه الأدوات، بل الوعي الذي يوجه استخدامها، والرقمنة لن تكون قوة تقدم حقيقة إلا حين تُسخّر لخدمة الإنسان العربي، لتعزيز حريته وقدرته على الإبداع، ولتحقيق التنمية الشاملة التي توازن بين التحديث والهوية، بين الكفاءة والعدالة، وبين العالمية والانتماء المحلي.

قائمة المراجع

1. الخوري، علي محمد. (2025، مايو 10). الابتكار الرقمي في العالم العربي: بين التحولات البنوية والفرص غير المستغلة. *الاتحاد العربي للاقتصاد الرقمي* - <https://arab-digital-economy.org/innovation-arab-world>. 2025
2. Zayani, M., & Khalil, J. F. (2024). *The digital double bind: Change and stasis in the Middle East*. Oxford University Press.
3. Bastian, B. L., & Wood, B. (2025). Digitalization and entrepreneurship in the Arab world. In *Routledge companion to entrepreneurship in the Middle East and North Africa* (pp. 45–108). Taylor & Francis.
4. Dede, D. (2024). [Review of the book *The digital double bind: Change and stasis in the Middle East*, by M. Zayani & J. F. Khalil]. *Information Polity*, 29(3), 367–370. <https://doi.org/10.3233/IP-249006>
5. Gasmı, F., Kouakou, D. C. M., Nomba Um, P., & Rojas Milla, P. (2024). An empirical analysis of the social contract in the Middle East and North Africa region and the role of digitalization in its transformation. *Economics of Transition and Institutional Change*, 32(4), 1193–1243. <https://doi.org/10.1111/ecot.12415>
6. Paul Makdissi. (17 سبتمبر 2025). الذكاء الاصطناعي والرقمنة والحماية الاجتماعية في المنطقة العربية: محادثة حول التنمية البشرية مع Paul Makdissi. مبادرة الإصلاح العربي - <https://www.arab-reform.net/ar/publication/ai-digitalization-social-protection-arab-region/> (زيارة 2026/02/27)
7. كاتب عمود في ERF، (2 ديسمبر 2025) Digitalising governance in MENA: Opportunities for social justice. منتدى البحوث الاقتصادي - <https://theforum.erf.org.eg/2025/12/02/digitalising-governance-mena-opportunities-social-justice/>